

جوليا كريستيفا والإرث الباختييني
Julia Kristeva and the Bakhtine Legacy
* نجاة عرب الشعبة
Arab chaaba Nadjette
مخبر الشعرية وتحليل الخطاب
جامعة باجي مختار — عنابة (الجزائر)
Badji Mokhtar University- Annaba (Algeria)
nadjettearab@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2025/03/02	تاريخ القبول: 2024/08/27	تاريخ الإرسال: 2024/03/21
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

شكلت أبحاث الباحثة البلغارية جوليا كريستيفا J. Kristeva منعرجا هاما في تاريخ النقد الغربي الحديث بابتكارها مقولة "التناس" في منتصف الستينيات من القرن العشرين، وكان ذلك نتيجة تأثرها الكبير بالأبحاث النظرية التي جاء بها باختين حول مفهوم "الحوارية"، حيث عملت على بعثها من جديد وإظهارها في شكل مغاير. وكان هذا الانجاز المعرفي الهام بمثابة المثير الذي نبه أذهان النقاد إلى العناية بكل ما له صلة بالقضايا الفكرية والنقدية التي تجري في فحوى تفاعل النصوص وتداخلها .
ونحن في هذه الورقة البحثية سنحاول تسليط الضوء على المنجز العلمي والمعرفي لجوليا كريستيفا بما يتعلق بنظرية التفاعل النصي ومقولة التناس تحديدا، من منطلق استثمارها في الإرث الباختييني الذي هيا لها الطريق لإنتاج معرفي هام كان له - بلا أدنى - شك أثره الكبير في مسار النقد الغربي والعالمي على السواء.
الكلمات المفتاح: التفاعل النصي؛ التناس؛ جوليا كريستيفا؛ الحوارية؛ ميخائيل باختين؛ النقد.

Abstract :

The research of Bulgarian scholar Julia Kristeva, marked an important milestone in the history of modern Western criticism by inventing the concept "intertextuality" in the mid-sixties of the twentieth century. This was the result of her great influence on Bakhtin's theoretical research about the concept dialogism. Where she worked to resurrect it and show in a different form. This important epistemological achievement was an exciting one that alerted the minds of critics

* نجاة عرب الشعبة nadjettearab@yahoo.fr

to take care of all the intellectual and critical issues that take place in the content of the interaction and interplay of texts.

In this paper, we will try to highlight the scientific and cognitive achievement of Julia Kristeva with regard to the theory of textual interaction and the statement of intertextuality in particular. From the point of investing in the Bakhtianist legacy, that prepared the way for an important cognitive production that has undoubtedly had a great impact on the course of Western and global criticism alike.

Keywords:: Criticism, Dialogism, Intertextuality, Julia Kristeva, Mikhail Bakhtine, Textual interaction.



مقدمة

شُغلت الشعرية الغربية الحديثة بإشكالية الكتابة الفنية، فجعلت من النص الأدبي محور اهتمام التجربة النقدية، معتنية بالخصائص الشكلية التي تعطي للنص طبيعته الأدبية. من هنا بدأ اصطدام الشعرية الغربية الحديثة بسؤال الأدبية الذي فرض ذاته بشكل واضح على واقع الدرس النقدي الحديث، وانبثقت عنه إشكالات جمة تعثرت بها الشعرية الغربية وهي تبحث عن إجابات شافية في فحوى الأدبية، والتي تتصل في عمومها بمهية النص، ومصادره، وبنياته الداخلية، وأشكال تفاعلاته.

وإن الإنجازات المعرفية التي تمت في هذا المجال، جعلت الشعرية الغربية الحديثة معينا لا ينضب في إنتاج نظريات ورؤى ومفاهيم ومقولات نقدية، فتحت طريقا واسعا أمام النقاد والباحثين للتعاطي مع النص الأدبي من سؤال الأدبية، الذي كان ركيزة هامة في إرساء ما يسمى بنظرية النص.

وفي هذا النطاق برزت نظرية التفاعل النصي التي جاءت لتعمق النظر في حركة النص وتكوينه من خلال خروقاته للآثار الأدبية العديدة. فهي تنظر إلى النص الإبداعي من منطلق أنه >> تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة، بحيث يغدو النص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي تمحي الحدود بينها، وأعيدت صياغتها بشكل جديد، بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها. وغاب الأصل فلا يدركه إلا ذووا الخبرة والمران¹ فالعملية الإبداعية إذن، تنبني على سوابق إبداعية تتباعد أو تقترب عن زمن إنتاج النص، وتخترن في ذاكرة المبدع لتنتقل من وعيه أو لا وعيه بحسب مقصديته في إنتاج دلالة النص.

ولقد بدأ الحديث يحوم حول نظرية التفاعل النصي مع ظهور مقولة "التناص" التي ابتكرتها الباحثة البلغارية الأصل جوليا كريستيفا J. Kristeva في منتصف الستينيات من القرن العشرين، وكان ذلك نتيجة

تأثرها الكبير بالأبحاث النظرية التي جاء بها باخين حول مفهوم "الحوارية". فعملت على إخراجها من شرفتها التي قبع فيها سنين طويلة، وأظهرتها في حلة جديدة ترى النص فيها مبنيا >> على طبقات وتتكون طبيعته التركيبية من النصوص المتزامنة له والسابقة عليه² وكان هذا الانجاز المعرفي الهام بمثابة المثير الذي نبه أذهان النقاد إلى العناية بكل ما له صلة بالقضايا الفكرية والنقدية التي تجري في فحوى تفاعل النصوص وتداخلها .

ونحن في هذه الورقة البحثية سنحاول تسليط الضوء على المنجز العلمي والمعرفي لجوليا كريستيفا بما يتعلق بنظرية التفاعل النصي ومقولة التناص تحديدا، من منطلق استثمارها في الإرث الباخيني الذي هيا لها الطريق لإنتاج معرفي هام كان له - بلا أدنى شك - أثره الكبير في مسار النقد الغربي والعالمي على السواء.

أولا: ارهاصات نظرية التفاعل النصي في النقد الغربي الحديث:

أسهمت الشعريات الغربية الحديثة بشكل لافت في تدشين عصر جديد للدرس النقدي حين بلورت عديد الطروحات الفكرية والنقدية، وأنتجت الكثير من التقنيات والآليات والمناهج التي فتحت مسارات جمة أمام القارئ الباحث ليخترق عبر أدواتها حدود النصوص الأدبية لاستجلاء كوامنها ودلالاتها. وتمثل الحوارية واحدة من أشهر الطروحات النقدية الحديثة والتي كان لمبادئها ومقولاتها اليد الطولى في تأسيس منحنى نقدي رصين أفاد المنظومة النقدية الغربية بكل اتجاهاتها ومدارسها المختلفة، وانعكس ذلك واضحا على ما استقرت عليه بعض تصورات النقاد والمنظرين الغرب نذكر منهم : تودوروف Tododrov، جيرار جينيت Genette، وجوليا كريستيفا Kristeva . إلا أن هذا لا ينفي وجود ارهاصات نظرية تضمنت بشكل أو بآخر مضمون فكرة تفاعل النصوص وتداخلها، كما أومأت إلى ظاهرة التناص دون تسميتها، كجهود العالم اللغوي السويسري الأصل دوسوسير Dassaussure >> الذي كان قد أرسى قواعد جديدة لفهم النص³ ولا جرم أن جدلية النص الحاضر والنص الغائب جزء لا يتجزأ من تكوين النص نفسه. وتتحدد جهوده أكثر لما اكتشف وجود الظاهرة بين اللغات الهندو أوروبية، وتنبه أكثر إلى تواجد ظاهرة التصحيقات Les anagramme على مستوى الكلمة الواحدة في اللغة الأدبية كالجناسات بأنواعها.

وتبرز أكثر، فعالية ما قدمه دوسوسير بخصوص مقولة التناص في فحوى قوله إن الكلمة لا تأتي وحدها أبدا⁴ وهو الأساس الذي يبني عليه منظور باخين؛ فالكاتب لديه يتطور في عالم مليء بكلمات الآخرين فيبحث في خضمها عن طريقه. لا يلتقي فكره إلا بالكلمات تسكنها أصوات أخرى⁵.

وبالإضافة إلى كل ما تقدم، فإن دوسوسير أنجز دراسة هامة سنة 1909 تعتبر اكتشافا فريدا لا يخلو من مغامرة التوجه نحو ما يمكن تسميته بحفريات النص، بعد أن تبين له أن سطح النص مكوكب، تبنيه وتحركه نصوص أخرى حتى ولو كانت مجرد كلمة مفردة. وبهذا الشكل فإن جهود دوسوسير تمثل لا محالة النواة، أو الحجر الأساس في البناء الهرمي لنظرية التفاعل النصي في العصر الحديث.

وفي سنة 1917 كتب الشاعر الإنجليزي توماس ستيرنز إليوث T. S. Elioth مقالا يجري سياقه في حفريات النص، من ضمن ما جاء فيه: ليس للشاعر شخصية يعبر عنها، بل لديه وسيلة خاصة (اللغة) هي التي تتكلم وليس الفرد أو الشخص، وهو يلمح بذلك إلى المرجعية الأدبية والتي تتحدد في الموروث اللغوي والأدبي الذي يهيمن على ذاكرة الفرد لحظة الإبداع سواء عن قصد أو عن غير قصد.⁶

وجاءت جهود الشكلانيين الروس في مطلع القرن العشرين لتدفع بعجلة الأبحاث والدراسات الأدبية قدما إلى الأمام، فقد فتحت مسارات جديدة في الدرس النقدي الحديث من خلال طرحها لتصورات نقدية جديدة تتمثل في << تحديد الأدبية موضوعا للأدب >>⁷ وذلك انطلاقا من أن الشكل الفني أساس العملية الإبداعية، << ومرتکز النقد عند مباشرة/ الأثر الأدبي. ولم تكن هذه النظرة ناشئة من فراغ فقد استندت إلى تصور يردّ الشكل إلى كون متفاعل ومادة حيوية متواشجة العناصر والمكونات >>⁸، فكان من الباحثين أن عدوا ذلك الإنجاز من الممهدات الهامة التي أرهصت لظهور نظرية التفاعل النصي. فالشكلاني إيجنبوم (1886، 1959) يرى أنه << على موضوع الأدب أن يكون دراسة الخصائص المميزة للموضوعات الأدبية التي تميزها من سائر المواد الأخرى، وإن وجد فيها غيرها من العلوم إمكان استثمارها موضوعات ثانوية >>⁹

هذا بالإضافة إلى كتابات الشكلاني الروسي يوري تينيانوف Y. Tynyanov (1894، 1943) التي تدعو إلى النظر إلى نصية النص في علاقته مع نصوص أخرى، مستهجننا بذلك النظرة المحايثة المغلقة الأفق، فقد قال: << هل الدراسة المزعومة بالحايثة للعمل، باعتباره نسقا يجهل/علاقته الاختلافية، أي العلاقة بالمجموع الأدبي أو مجموع غير أدبي >>¹⁰. إن مثل هذا الكلام يبين إلى أي حد غير أفراد الشكلانية الروسية آراءهم حول فكرة النص المغلق التي رسخوها في بداية مشوارهم النقدي، وكان ذلك نتيجة استفادتهم من إنجازات دوسويسير حول دراسة الكلمة كشيء حقيقي قابل للقياس. فبشهادة تودوروف، فإن الفضل يعود إلى الشكلانيين في بدء الاعتراف بقيمة هذه السمة اللغوية، حيث كتب شكوفسكي يقول: << إن العمل الفني يدرك في علاقته بالأعمال الفنية الأخرى والاستناد إلى الترابطات التي تقيمها فيها. وليس النص المعارض وحده الذي يبدع في توازن وتقابل مع نموذج معين، بل إن كل عمل فني يبدع على هذا النحو >>¹¹. إن الشكلانيين بهذا الطرح يكونون قد تنبهوا إلى فكرة التفاعل بين النصوص دون الوصول إلى ابتكار المصطلح المناسب؛ فهم على يقين من أن ظاهرة التفاعل ما بين النصوص خاصة شكلية لا يمكن تجاوزها في النص الأدبي جراء الأثر الذي يتركه النص الغائب في النص الحاضر، رغم احتفاظ كل نص بخصائصه ومميزاته. وهو ما دعاهم إلى التركيز على منزلة الشكل في تصوراتهم النقدية على حساب منزلة المحتوى أو المضمون، فأدى هذا الهاجس التقديسي لشكل النص إلى انفلات البحث في التناسية.

والآن ننتقل بالحديث إلى مبتكر مقولة الحوارية (ميخائيل باخيتين) لنكشف الأسس والمبادئ الإستمولوجية التي تقوم عليها.

ثانيا حوارية باختين:

إن الحديث عن ظاهرة التداخل النصي وعملية انصهار ملفوظات سابقة في أخرى لاحقة، قد تم التعمق في أنحائه بكثير من العناية والجدية في العشرينيات من القرن الماضي على يد الناقد الروسي ميخائيل باختين (1895-1975). وقد لا نكون مغالين في القول إذا اعتبرنا إنجازاته المعرفية في هذا الصدد بمثابة منعرج فكري هام، يحمل من التحول والانقلاب المعرفي على مسار حركة النقد الغربية (الشكلانية والماركسية) في كثير من الأبعاد والرؤى، ما هيا له ولمدرسته المجال واسعا لإنتاج منظومة من المفاهيم والمقولات النقدية التي يصح وصفها عند التحامها بالنظرية المتكاملة البناء.

ولم يكن يتسنى لباختين أن يتجاوز ذلك الكم الهائل من المنظورات والرؤى حول جملة من المفاهيم التي تتعلق بالخطاب واللغة والكلام، لولا غزارة رصيده المعرفي والعلمي، حيث تستند نظريته إلى الفلسفة التي تشكل رافدا أساسا في تبلور نظريته النقدية، والتي جاءت شاملة لكم هائل من العلوم، والمعارف الإنسانية؛ فقد كتب في نظرية الأدب، واللغة، والإيديولوجية، والأنثروبولوجية والسميائيات. إلخ وهو ما دفع تودوروف إلى الاعتراف، بأن باختين >المفكر السوفييتي الأكثر أهمية في حقل العلوم الإنسانية، وأعظم منظر في حقل الأدب في القرن العشرين <<¹².

وتتحدد نظرية باختين بخصوص أسرار الكلام الإنساني في مفهوم عام وشامل أطلق عليه "الحوارية" والتي أراد باختين أن يبرز من خلاله أن الذات الإنسانية كائن حواري بامتياز، وأن ظاهرة التجاوز اللساني Translinguistique خاصة >> ملازمة لكل إنتاج لغوي، أيا كان نوعه، فليس هناك كلام يبدأ من الصمت، كل كلام يبدأ مما كانت خصوصيته من كلام قد سبق <<¹³. وتنشأ ظاهرة التفاعل اللساني في تصور باختين نتيجة لفاعلية التواصل اللفظي الملموس بين المتكلم / المرسل، والمستمع / المتلقي. إنها فلسفة باختين في اللغة والخطاب.

ويبدو أن باختين قد استنبط قواعد وإجراءات نظريته في المبدأ الحواري من الاستقصاء الشامل لتكوين التلفظ البشري، من حيث هو نتاج لتفاعل اللغة وسياق التلفظ - السياق الذي ينتسب إلى التاريخ. وبهذا الطرح يكون باختين قد وضع يديه على أهم خاصية تميز التلفظ، وهي الخاصية الحوارية التفاعلية، فكل تفاعل لفظي يحدث في شكل تبادل بين التلفظات أي في شكل حوار. ومصطلح الحوارية Dialogisme هو المصطلح الأمثل الذي وظفه باختين للدلالة على العلاقة القائمة بين أي خطاب وباقي الخطابات الأخرى.

ولقد اتضحت أكثر معالم حوارية باختين لما وضع العديد من الاصطلاحات والمقولات النقدية التي اعتمد عليها بشكل أساس في تأطير نظرية الرواية، ولعل أبرزها البوليفونية: (تعددية الأصوات La polyphonie) الذي استنبطه باختين على غرار أنحائه في منطقية الطابع التفاعلي للإبداع والتواصل

الإنساني بشكل عام، وقد ركز باختين النظر أكثر في الرواية، على أساس أن هذا الجنس الأدبي هو <<التنوع الاجتماعي للغات وأحيانا للغات والأصوات الفردية، تنوعا منظما أدبيا >>¹⁴.

ولقد وجد باختين في أعمال دوستوفسكي مرتعا خصبا لتجسيد مقارنته النظرية، وذلك لتمييزها بالطابع الحوارية الذي يظهر في شكل تعدد الأصوات واللغات والخطابات التي <<تتداخل وتتجاوز فيما بينها بشكل متكافئ ومتعادل بدون تمييز صوت على آخر أو تفضيل وعي على آخر>>¹⁵. وهذا ما جعل باختين يقر بأن دوستوفسكي الوحيد الذي ابتدع الرواية البوليفونية - في زمانه - وغير على نحو حاسم الإمكانيات التعبيرية لهذا الشكل الأدبي بعد أن كانت الرواية قبل دوستوفسكي مونولوجية بحثة يسيطر عليها خطاب مهيمن، يتحكم في توجه خطابات أبطال الرواية، وتحدد نتائج القضايا السردية قبلها لفائدة تحيزات فكرية وإيديولوجية بعينها.¹⁶

من هنا، نجد أن قراءة النص الروائي في ضوء مفاهيم تعدد الأصوات واللغات، إنما يعبر عن توجهات باختين الفلسفية والإيديولوجية التي يريد من خلالها مواجهة السياسة الستالينية (الشيوعية) التي كانت ترى ضرورة التصرف في دلالة اللغة من أجل خدمة طموحات وأهداف السلطة.

ولقد جاءت كتابات باختين المتنوعة مفعمة بالأفكار والرؤى التي من شأنها أعادت لأسلوبية الرواية ولغتها قيمتها التعبيرية ودرستها بمفاهيم النوع الروائي بعيدا عن معايير الشعر ومفاهيمه البلاغية التقليدية. وهذا يعني أن أسلوبية الرواية قد تخلصت إلى حد ما من أدوات البلاغة التقليدية ودعمتها بمفاهيم جديدة تراعي الخصوصية النوعية للرواية كجنس أدبي قائم بذاته.

وإذن، فإن الرواية الحوارية من منظور باختين تأخذ بعدها التجنيسي من تلاحق مجموعة من النصوص والخطابات المتنوعة لغويا، وصوتيا وذلك عائد - أساسا - إلى الاختلاف الجوهري القائم بين شخص الرواية اجتماعيا وثقافيا وإيديولوجيا، ولقد جاء تبرير باختين لهذا التميز في قوله: <<وما كلام المؤلف وكلام الرواة والأجناس الدخيلة وكلام أبطال الرواية إلا وحدات التأليف الأساسية التي يدخل التنوع الكلامي الرواية بواسطتها. فكل وحدة من هذه الوحدات تتسع بوجود تعدد في الأصوات الاجتماعية وتنوع في العلاقات والصلات بينها .. هذه الصلات والعلاقات الخاصة بين الأقوال واللغات وحركة / الموضوع هذه من خلال أنماط اللغات والكلام، وتفتت في تيارات التنوع الكلامي الاجتماعي وقطراته، واكتسابه الشحنة الحوارية، هذه هي الخصيصة الأساسية للأسلوبية الروائية>>¹⁷.

إن فلسفة باختين اللسانية لم ترق السياسة الستالينية، فترصدت لأفكاره بشتى الوسائل والطرق، فنجحت إلى حد ما في الحد من انتشار تلك الأفكار الانفتاحية المناهضة للسياسات التعسفية الأحادية عقودا طويلة، ولم يكتب لأفكار الرجل أن تنبعث من جديد إلا مع بداية الستينيات، لما أعيد طبع اثنين من كتبه هما، "شعرية دوستوفسكي"، و"أعمال فرانسوا رابليه والثقافة الشعبية". وكان لهذا الظهور المتجدد لهذين الكتابين عاملا مباشرا للاطلاع على أفكاره ونظرياته ومبادئه الفكرية والمعرفية في روسيا، وإن كان بشكل

ضيق ومحتشم على يد بعض النقاد الروس ولعل أشهرهم "يوري لوتمان Y. Lotman"، الذي ساهم في التعريف بفكر باختين، وأما الشخصية النقدية الأبرز على الإطلاق، والتي أعادت بعث فكر باختين - بكل جرأة - هي الناقدة البلغارية الأصل جوليا كريستيفا J. Kristeva التي عملت على ترجمة بعض أعماله، ونشرها في فرنسا.

وإن ما قامت به جوليا كريستيفا يعد انجازا كبيرا، ردت - من خلاله - اعتبار باختين المضطهد في وطنه، فبعث صوته من جديد ليواصل رحلة التصدي لذوي النزعة الشكلية للأدب، والتي ترى النص على أنه بنية لغوية مغلقة لا غير، لكن المتصدى لهم هذه المرة ليسوا الشكلانيين الروس أو الأسلوبيين، وإنما هي تلك المدارس التي خرجت من رحم المدرسة الشكلانية، وأبرزها على الإطلاق الحركة البنوية التي فرضت وجودها في الساحة النقدية في أوروبا (فرنسا) لتعيد الاعتبار إلى الشكلانية الروسية، على اعتبار أنها المدرسة الأم في اتفاقها في الرابط المنهجي الذي انتهجته في مسارها النقدي، وعلى أساسه وضع متبناها قواعد التحليل البنوي حسب قوانين اللغة.

وإنه لا مراء في أن المنهج البنوي أحدث ثورة هائلة في النقد الغربي والعالمي في العصر الحديث، من حيث نظريته إلى النص نظرة قاصرة على جانبه اللغوي باحثا في العلاقات الداخلية التي تربط أنساقه، وهو بذلك يعزل النص عن جذوره، بداية من المؤلف والظروف التي ساعدت على ظهوره. وارتكز المنهج البنوي أكثر ما ارتكز على علوم اللغة التي أحدثها دوسوسير وأورد فيها جملة من المفاهيم الجديدة أهمها التفريق بين اللغة والكلام، واعتبار الجملة الأدبية نظاما من العلامات.

والإبداع الأدبي في منظور البنويين صار مجرد بنيات من مستويات مختلفة: صوتية وتركيبية وأسلوبية ترتبط بعلاقات خاصة يحكمها مبدأ المحايثة الذي يقر بمبدأ استقلالية النص. ومنذ أن >>تكتكت البحوث الحديثة على مصطلح البنية Structure، واكتشف به التنظيم الداخلي للوحدات وطبيعة علاقاتها وتفاعلاتها، مما لم يكن محددًا من قبل، لم يعد من الممكن في الفكر الحديث التخلي عنه>>¹⁸.

ولأن عالم الفكر والإبداع لا يستمران على حال، فإن المنهج البنوي عرف انقلابا على مبادئه الرئيسة، فإذا كانت أفكار العالم اللغوي الشهير دي سوسير مدخلا منهجيا للفكر البنوي في اللغة والأدب، فإن أفكار الفيلسوف والمنظر الروسي ميخائيل باختين مثلت دافعا وسببا منطقيًا لتطور المنهج البنوي، وكل المناهج الأخرى التي تولدت عنه، أو ساهم في توسيعها بشكل أو بآخر، من مثل المنهج السيميائي، والتفكيكي... الخ.

وربما هذا لم يكن ليحدث لولا عملية النبش التي قامت بها جوليا كريستيفا في موروث باختين الفكري والنقدي، والذي مكنها من ابتكار مفهوم نقدي جديد وهو مفهوم "التناص" سنة 1966، استطاعت من خلاله أن تحرر الجماعة النقدية المعروفة باسم "تيل كيل Tel Quel" من قيود ومبادئ الألسنية البنوية التي تدعو إلى دراسة الأدب من الداخل، لتدخل منعرجا معرفيا ومنهجيا جديدا يتكئ على فكرة تداخل النصوص

فيما بينها وظهور أثر بعضها على بعض رغم احتفاظ كل نص بخصوصيته ومميزاته. من هذه الفكرة انطلق البحث في التناص في اتجاهات عديدة، هناك من أخفق، وهناك من نجح نجاحا باهرا لم يزد إلا ثراء وتنوعا. ولأن المقام لا يسمح لنا باستفاضة الحديث في المشوار التاريخي الذي مرت به مقولة التناص نظرية وإجراء في الشعرية الغربية الحديثة، فإننا وجدنا من المناسب بمكان أن تكون محطتنا البحثية مع واحدة من أبرز الأسماء النقدية الغربية التي كان لها بصمة واضحة في ترسيخ وتطور مقولة التناص في النقد الغربي الحديث ممثلة في جوليا كريستيفا.

ثالثا - جوليا كريستيفا J. Kristeva :

بدأت فاعلية الباحثة البلغارية الأصل جوليا كريستيفا (1941) J. Kristeva تبرز تجاه نظرية الأدب بعدما قررت الاستقرار في فرنسا سنة 1966م، واندماجا عضوا فاعلا مع فريق (تيل كيل) (Tel quel) الذي كان يضم نخبة مفكري فرنسا آنذاك من أمثال؛ رولان بارت R. Barthes، وميشال فوكو M. Foucault، وفيليب سولارز F. Sollers و جاك دريدا J. Derrida.

ولقد سمح هذا الفضاء الثقافي والمعرفي الجديد لهذه الناقدة أن تتطلق وتسبح فيه بكل حرية، حيث بدأت الكتابة في النقد الطليعي الذي يركز على الألسنية والسميائية، فنشرت ما بين سنتي 1966م و 1967م مجموعة من المقالات التي حددت من خلالها اتجاهها النقدي الذي يلتقي مع مبادئ جماعة (تيل كيل) والتي بدورها (الجماعة) انقلبت على المناهج النقدية التقليدية وصارت ترغب في إيجاد >> نقد علمي لا يؤمن بمقولات مستهلكة، وقد أعلنت، منذ البداية أن هدفها هو تحليل العمل الفني خارج كل سياق دخیل على الأدب>>¹⁹ ثم ما فتى البحث لدى هذه الجماعة أن يشهد تطورا فرض انعكاسه في الوقت ذاته على النظرية السيميولوجية التي تبحث في مكونات النصوص الأدبية، بدءا من بناءاتها الداخلية، وعلاقاتها الدالة، وفي العلاقة التي تربط النص بغيره من فروع المعرفة الأخرى؛ فالحركية، والتفاعلية بين النصوص، هما الخاصيتان في اللغة اللتان على أساسهما دُحضت، وقوضت فكرة البنية المغلقة، والمعنى الأوحى لأي نص.

وفي هذه الفترة الهامة والحاسمة من تاريخ النقد الغربي الحديث، وهي فترة الانتقال من البنوية إلى ما بعد البنوية، قدمت كريستيفا مفهوم التناص L'intertextualité الذي يتضمن معنى الخزون المعرفي، والخبرة السابقة التي تدخل في تكوين النص، من هنا تتحدد فرضية التناص التي تقول بأن كل نص هو نتيجة تداخل بين النصوص السابقة واللاحقة.

ويبدو أن تعمق كريستيفا في كتابات باكتين حول المبدأ الحوارية، وأيضا تشبعها بمحتوى أفكار، وكتابات دوسويسير جعلها تركز النظر في البحث عن النص الغائب في فضاء اللغة الأدبية، والتي عرفت لدى دوسويسير بـ Le Paragramme الباراغرام أو القلب المكاني. ولا ننسى مبادئ الفلسفة الماركسية، ومدارس التحليل النفسي (فرويد Freud، يونغ Jung، كارل J Lakan) كل ذلك كان بمثابة الأرضية الصلبة

التي اتخذتها كريستيفا أساسا لبناء صرحها النقدي الجديد (التناس)، والتأسيس له بما يتفق مع مشروعها السيميائي واهتمامها بنظرية النص (علم النص).

ولقد بنت الباحثة ج كريستيفا تصورهما حول مفهوم التناس - بشكل - عام على أساس أثر المرجعيات الثقافية في تكوين النصوص الأدبية. حيث عمدت إلى شرح وتفسير أبعاد هذه النظرية عبر جل كتاباتها، خصوصا تلك التي نشرتها ما بين سنتي 1966-1969 في مجلتي (كما هو Tel quel)، و(نقد Critique)، وفي أطروحتها التي نشرتها سنة 1970 بعنوان "النص الروائي" Le texte du roman، وهو العمل الذي أفاضت الحديث فيه في فهم مقولة التناس وهي بصدد دراسة إحدى روايات الكاتب الفرنسي أنطوان دولاسال مركزة دراستها على تعددية صور الكتابة، إلى جانب مختلف المشارب الثقافية والأسلوبية التي كانت سائدة في عصر الكاتب أو حتى قبله.²⁰

وأبضا كتابها الشهير "بحوث في التحليل السيميائي" Recherches pour une sémanalyse الذي عالج فيه الكثير من القضايا التي تتعلق بالتناس والتي سوف نقف عند بعضها في حينه، بالإضافة إلى كتاب آخر لا يقل أهمية، وهو بعنوان "ثورة اللغة الشعرية" La révolution du langage poétique الذي أوضح فيه الكثير من القضايا العالقة بمقولة التناس.

وإن المتأمل في ما قدمته "كريستيفا" حول التناس نظرية وإجراء، يلاحظ بشدة أن الباحثة رسخت أفكارها في الساحة النقدية لإيجاد علم جديد يُعنى بالنص وصار الشغل الشاغل لأصحاب النقد الجديد من حيث هو نسيج من العلامات، والتناس يشكل أحد مظاهرها. وما يحسب لهذه الباحثة، أنها قدمت رؤية واضحة تجاه مفهوم النص من خلال طرحها لمقولة التناس، فالنص عند كريستيفا هو >> حهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللغة عن طريق ربطه بالكلام التواصل، هادفا إلى الإخبار المباشر، مع مختلف أنماط الملفوظات السابقة والمعاصرة>>²¹، وبذلك فإن النص حسب كريستيفا، يأخذ حيويته وحركيته وتجده من تقاطعه مع خطابات ونصوص أخرى وتوالده من خلالها. ولتحليل الاشتغال النصي رصدت كريستيفا معطيات متنوعة استوحتها من مجالات معرفية عديدة، أولها اللسانيات (نظرية تشومسكي التوليدية والتحويلية، ونظرية بنفنيست E. Benveniste حول التلفظ)، والفلسفة الماركسية في مفهوم الإنتاجية، والتحليل النفسي من خلال أعمال فرويد وتلميذه كارل يونغ، أو من خلال تصورات ج لكان، وأخيرا سوسيولوجيا الأدب من خلال تصورات باختين حول الحوارية.

لقد سمح هذا التنوع المعرفي بالنسبة لكريستيفا، من أن تقدم جملة من المفاهيم الجديدة التي كان لها الأثر الواضح في صيرورة النقد الغربي الجديد، والتي بدورنا سنعمل على بسط بعضها، فيما سيتم التركيز على المفاهيم التي تتصل بحوارية باختين ونظرية التفاعل النصي.

1 الإنتاجية النصية Productivité textuelle :

تندرج مقولة التناص ضمن المفهوم الإشكالي الجديد الذي طرحته الباحثة ج. كريستيفا وهو "الإنتاجية النصية" والذي يتشكل ضمن اشتغال النص الذي يستقي جاهزيته من اللغة عن طريق توزيعها عبر التناص القارئ بالنص؛ إذ يخفي الناص ويتلاشى ليصبح صلة وصل بين معرفة وممارسة أي أن مسؤولية الناص تنف عند حد إنتاج الدال (انزياحات، وجناسات) بينما يقع على عاتق القارئ مهمة البحث عن الدلالات، وهو نوع من ابتكار المعاني الجديدة والبعيدة التي يستنبطها القارئ من تلك التقاطعات النصية والتي تحدث نتيجة انفتاح النص على غيره من النصوص وإقامة حوار معها. وعلى هذا الأساس تتحدد الإنتاجية النصية في منظور كريستيفا من خلال أمرين:

- أن علاقة النص باللغة التي يتوقع فيها، هي علاقة إعادة توزيع Redistributif
- أن النص هو عبارة عن ترحال للنصوص، أي عملية تداخل نصي، ففي فضاء النص الواحد تتقاطع مجموعة من الملفوظات مأخوذة من نصوص أخرى
- والتناص على هذا النحو، يتم وفق طريقة تمنح النص وضعية الإنتاجية، وليس الإنتاج، بمعنى أنها تدفع إلى ابتكار منحي دلالي جديد لبنى النص المختلفة؛ فللنص على هذا النحو بيتان :
- الأولى هي بنية ظاهرة أو تكوينية، وهي هويته التركيبية الخاصة، والثانية هي بنية تكوينية غير ظاهرة، وهي مقاصده الدلالية، ولقد أطلقت كريستيفا على كل من البنيتين اسما خاصا للنص، الأول وهو النص الظاهري (Phénotexte)، وتعني به مستوى القول الملموس للنص، أما الثاني، فهو النص التكويني (Génotexte)، ويعني ما يحدث تحت هذه البنية الظاهرية²²
- ويبقى مصطلح الإنتاجية يتعلق بوظائف النص الذي ينجز على أساس التناص والتداخل والتقاطع مع نصوص أخرى. والمصطلح في أساسه ماركسي، استوحته كريستيفا من الفلسفة الماركسية التي احتل فيها مفهوم الإنتاج وأنواعه وعلاقاته وقواه ووسائله مساحة واسعة.

2- الإيديولوجية Idéologème :

بناء على فكرة الإنتاجية التي سبق الوقوف عندها، تعتمد جوليا كريستيفا إلى رصد مفهوم جديد أطلقت عليه مصطلح الإيديولوجية، وهو المصطلح الذي سعت كريستيفا لأن تروج له وهي بصدد بلورة تصورهما حول التناص، ونظرية النص. وهذا المفهوم مستقى بعينه من الموروث الباختيني الذي يكون باختين قد وظفه في إحدى كتاباته التي نشرها بأسماء مستعارة، وجوليا كريستيفا ذاتها لا تنفي أمر تأثرها وإفادتها من ذلك الموروث عموما في أكثر من موضع²³ لكنها لم تحدد في سياق ذلك مرجعا بعينه.

وجاءت كريستيفا بهذا المفهوم لتؤكد أن النص هو ممارسة سيميائية (Pratique Sémiotique)، محددة تعريفه بقولها: >> الإيديولوجية هو هذه الوظيفة التناصية، والتي يمكننا قراءتها مجسدة على مختلف

مستويات بنية كل نص، تمتد على مداره، وهو ما يجعلها تشكل كل سياقاته التاريخية والاجتماعية»²⁴، وحتى لا يلتبس الأمر على القارئ في إدراك هذا المفهوم، ويتعامل معه على أساس أنه إجراء منهجي تأويلي لاحق على التحليل؛ فإن كريستيفا عملت على تحديد غايتها من مفهومها للنص كإيديولوجيم الذي من خلاله تتحدد منهجية السيميائيات في تناولها للنص على أساس أنه تداخل نصي، تربطه روابط تاريخية واجتماعية والنص، من حيث هو ممارسة نصية، أو نظام دلالي معين يخضع لتصنيفه الدلالات، التي تتأق من فكرة تعددية الثقافات والإيديولوجيات وأيضاً الأصوات في النص الأدبي، وهي الفكرة التي روج لها باختين، والتي تتعلق بموضوع النص في التاريخ وداخل المجتمع، بوصفها مرجعية نصية يقرأها الكاتب، ويندرج في إطارها وهو يكتبها.

إذن فالإيديولوجيم كما يوضحه مارك أنجنو (M. Angenot) هو >> عينة تركيبية تجمع لتنظيم نصي معلوم مع المؤديات التي يستوعبها أو يحيل إليها>>²⁵، والتناص على هذا الأساس هو تداخل نص مع نصوص أخرى، فهو ليس عملية استيعابية لنصوص أخرى فقط وإنما هو اقتطاع وتحويل، وترى كريستيفا أن الرواية هي التمثيل المميز للإيديولوجيم وقد وجدت في رواية جيهان دوساتري Jehan de Saintrée للكاتب الفرنسي أنطوان دولاسال Antoine de la Salle المرتع الخصب لترسيخ تصورها حول نظرية التناص، والمفاهيم المساندة لها، إذ تبنى هذه الرواية على جملة من الخطابات غير المتجانسة رسائل علمية، أو مراسلات سفر التي تتقاطع في فضاءها النصي لتشكيل حكايات تنبني كخطاب تاريخي أو كفسيفساء لا متجانسة من النصوص وهو ما يحقق وظائفية الإيديولوجيم التي تتحدد في ربط بنية نصية أو أدبية معينة ببنية أو بني أدبية أخرى.

والمصطلح في تركيبته المورفولوجية، >> قد نسج على نمط مونيم ومورفيم وفونيم>>²⁶، إلا أن هذا الاصطلاح لم يلق الرواج والانتشار في الساحة النقدية الأوربية، مثل ذلك الذي عرفه مصطلح التناص Intertextualité، والسبب في ذلك ربما يعود للطبيعة التركيبية للمصطلح في حد ذاته، فهو يتأسس تركيبياً على مصطلح آخر له عمق دلالي في مجالات معرفية أخرى متنوعة (كاللغة، والأنثروبولوجيا، ونظرية الأدب، والتاريخ) ونعني به الإيديولوجيا Idiologie، وحتى لا يقع التباس بين المفهومين، فقد هجر النقاد والباحثون مصطلح الإيديولوجيم وركزوا على مصطلحات أخرى أهمها على الإطلاق (التناص) Intertextualité.

3. التحويلية Transformation :

إن الرصيد المعرفي المكثف والمتنوع الذي تتمتع به الباحثة جوليا كريستيفا جعلها تفيد منه بقوة وتستثمره في بلورة نظريتها حول النص، ومن ثم حول مفهوم التناص؛ فقد تحولت كريستيفا في دراسة النص إلى النظرة التحويلية بناء على تطور الدراسات اللسانية الحديثة من مرحلتها الأولية المتميزة بمنهجيتها الوصفية إلى مرحلتها التحويلية التي ركزت على الجوانب المنطقية في اللغة، وحاولت أن تنشئ نموذجاً لغوياً بعيداً عن الواقع. إن

النص بالنظر إلى المفهوم التحويلي هو مجموعة علاقات متفاوتة واختلافية؛ ففرضية خضوع النص إلى عملية التحويل هي ما تحقق عملية إعادة إنتاج النصوص.

ولقد استعارت كريستيفا مصطلح التحويل من نظرية تشومسكي (التوليدية، التحويلية)، لتجعله الخاصة الرئيسة في اشتغال النص ويتضح ذلك في قولها >> كل نص هو عبارة عن قطعة موزاييك (فسيكس) من الشواهد وكل نص هو امتصاص وتحويل لنص آخر <<²⁷. ومصطلح التحويل، هو ما يحقق فكرة التفاعل التي تقوم عليها نظرية التناص، إذ لا تقف علاقة النص اللاحق بالسابق عند حد الاجترار والتضمين والاستشهاد وحسب، وإنما يقوم على فكرة الحوار، فينتج عن ذلك موضوع الصراع والتصادم اللذان يتحقق معهما تحويل في دوال تلك النصوص ومدلولاتها. وكأن النص بذلك يعمل على إعادة قراءة النصوص التي دخلت في تكوينه ويقوم بتحويلها لفائدته الخاصة، والتحويل هنا يتحقق لسببين:

- عزل النص عن سياقه الأصلي وإدماجه داخل سياق نصي جديد.

- أن يعطى للنص دلالة جديدة، مع الإبقاء على قدر ولو بسيط من الدلالة السابقة التي كان يحملها النص في سياقه الأصلي.

والتناص يعتبر في تجلياته شكلا من أشكال التحول وخلق علاقات جديدة بين النصوص المتفرقة في الزمان والمكان، والمتناثرة عبر ثقافات مختلفة. وتندرج مقولة التناص -بالأساس- ضمن البحث السيميولوجي الذي استنته كريستيفا منهاجها كون التناص يبحث في دلالة النص من خلال علاقاته وتداخلاته وتقاطعاته مع نصوص أخرى.

وأیضا تعتبر مقولة التناص تأسيسا قويا للمنهج التفكيكي الذي وضع أسسه ومبادئه الباحث والفيلسوف الفرنسي جاك دريدا (J. Derrida) فهو إذن مصطلح تفكيكي لأنه يشير إلى عمليتي الهدم والبناء، فالنص اللاحق يتوالد من نصوص سابقة ليشكل بناء جديدا عن طريق خاصيتي الامتصاص والتحويل حسب كريستيفا.

وإن مبدأ التحول هو ما يعطي لمقولة التناص المقترحة من طرف كريستيفا مصداقيتها وفعاليتها، وإلا فإن التناص سيكون مجرد حصر لمختلف النصوص والخطابات الدخيلة على النص اللاحق، ومن هنا تتغير وظيفته التحليلية، >> فداخل الكتابة تقوم عملية جد معقدة في صهر وإذابة مختلف النصوص والحقول المدججة مع النص المتشكل <<²⁸. وهذا ما يجعل النص الأدبي يكتسب حيويته وتجده من خلال تشابكاته مع النصوص الأخرى وتوالده من خلالها. وترى كريستيفا أن وظيفة التناص ترتبط بإيديولوجيا النص، وتمتد لتشمل كامل أجزائه، فتعطيه بذلك دلالاته التاريخية والاجتماعية التي تسمح له بالتحرك داخل الثقافة وداخل المجتمع.

وبذلك تكون كريستيفا قد عملت على تجاوز فكرة انغلاقية النص التي وجدتتها غير قادرة - على الإطلاق - على استيعاب تداخل بنية النص في نص اجتماعي أو تاريخي، لتتقترح في خضم هذا المعنى النقدي الجديد، منهجا تحليليا جديدا أطلقت عليه " التحليل السيميائي "Semanalyse" استنادا إلى مكونات البنية العميقة للنص لا البنية السطحية اعتبارا من أن البنية العميقة عبارة عن تحولات طرأت على مقطوعات أخذت عن نصوص أخرى.

وحتى تتضح معالم هذا التصور النظري الجديد حول مفهوم النص ومبدأي (الامتصاص والتحويل)، استعانت كريستيفا بإجراءات تطبيقية وردت في كتابها "النص الروائي Le Texte du Roman" والذي قامت فيه بتحليل رواية Petit Jehan de Saintre لأنطوان دولاسال Antoine de la Salle، حيث أشارت إلى أربعة من التفاعلات التناسية التي وجدتتها حاضرة في الرواية، وهي :

- النص المدرسي Seholastic: تقسيم الرواية إلى فصول رئيسية، وأخرى ثانوية، أسلوب تعليمي، إحالة ذاتية على الكتابة وعلى المخطوط.

- نص الشعر الغزلي (المرأة، غزل التروبادور)

- أدب المدينة الشفوي (صراخ الباعة الإعلاني، اللافتات...)

- خطاب الكرفال، (توريات، غموض، ضحك).

كل هذه الخطابات المتنافرة، تندرج في الواقع ضمن الرابط التناسي الذي يعمل على تحويل دلالة كل ملفوظ من هذه الملفوظات بتجميعها في بنية النص.

وبهذا الشكل تكون كريستيفا قد اجتهدت إلى حد كبير، لأن تشرح مفهوم التحويلية نظريا مستعينة بإجراء تطبيقي ساعد كثيرا القارئ على استيعاب لما ترمي إليه من أفكار تنظيرية كثيرا ما كان يلفها اللبس والغموض.

4 - الازدواجية L'Ambivalence :

يبدو أن النقد السوسيوني حاضرا بشدة ضمن التوليفة المرجعية التي ساعدت الباحثة ج.كريستيفا لأن تنسج خيوطا متينة تحيك بها نظرية التناس، ونتيجة لذلك، بينت كريستيفا بأن النص لا يتفاعل مع النصوص في بنيتها التركيبية، والتميمات والأطر والتقنيات فحسب، بل إنه يتفاعل ويتوالد من النصوص المكتوبة والشفهية سواء كانت أدبية أو تاريخية أو سياسية أو إيديولوجية، وهذا ما ورد لديها تحت اصطلاح "الازدواجية L'Ambivalence"، ويعني، إدراج تاريخ المجتمع داخل النص، وإدراج النص داخل التاريخ، وهو ما دفعها لأن تستخلص منظورا خاصا للنص على أنه امتصاص وتحويل لنصوص أخرى. ولقد أخذت كريستيفا هذه الفكرة من باكتين، والتي تقول هي بدورها عنه أنه >> عندما يتحدث باكتين عن طريقتين يتلاقيان داخل المحكي، فهو ينظر إلى الكتابة على أنها قراءة للمتن الأدبي السابق، وإلى النص على أنه امتصاص

ورد على نص آخر، فالرواية البوليفونية تم درسها على أنها امتصاص للكرفال، ودراسة الرواية المونولوجية على أنها هدم لهذه البنية الأدبية والتي يطلق عليها باكتين انطلاقاً من المبدأ الحوارى المينيبية²⁹؛ فالنصوص على هذا الشكل، تتداخل وتتوالد فيما بينها وتمتد لتحتوي العالم الخارجى الذى يصبح هو بدوره نصاً.

5. المناقلة Transposition :

لقد سارت كل الجهود التى بذلتها الباحثة ج.كريستيفا، فى سبيل الترويج للمفهوم الجديد (التناس)، نحو مسار نقدي محدد، يدعو إلى تكريسه ضمن إطار مفهومي الاستدعاء والتحويل، واللذان يكشفان عن <>الخاصية الاستحضارية للنص الأدبي، فكل خطاب يكرر آخر، وكل قراءة تعيد تأسيس نفسها باعتبارها خطاباً>³⁰، بحيث تنفى الباحثة عن التناس أن يكون محاكاة أو إعادة إنتاج لكنه مناقلة Transposition، وهى بذلك تنأى بمفهوم التناس عن تلك المناهج التى تركز البحث فى مصادر النص، والتأثير والتأثر. إلا أن صدمة كريستيفا كانت شديدة لما حادت أبحاث البارسين عن المعنى الذى حددته الباحثة منذ البدء إلى <>المعنى المبتذل لنقد المصادر>³¹ على حد قولها، حيث انتقل البحث الجديد إلى ترسيخ مبدأ تأصيلية النص الأدبي وذلك بمدارسة مصادر النص الثقافية، فعاد النقاد الجدد بالبحث الأدبي إلى سالف عصره كون حقل تطبيقاته غير بعيدة عن المجال التقليدي لمباحث الأدب المقارن.

ومن الأسماء النقدية التى انسأقت نحو هذا الاتجاه نذكر على سبيل المثال لا الحصر، دومينيك مانجينو Dominique Maingueneau، ولوران جيني L. J، وميشال أريفي M.Arrivé وميكائيل ريفاتير M. Riffaterre..

ورداً على ما آل إليه البحث التناسي من انحراف إلى درجة الابتذال، فقد تخلت كريستيفا عن مصطلح "التناس" الذى برأىها- هو إبدال لنسق للعلامات أو أكثر بآخر، وفضلت عليه مصطلحاً آخر هو (المناقلة) أو (الإبدال) Transposition وهو الأكثر دلالة من غيره حسب كريستيفا <>لأن له امتيازاً فى تحديد عبور نظام دال إلى آخر، مما يفرض تمفصلاً جديداً لوضعية التلفظ والتعيين>³².

إذن، هذا هو المفهوم الذى جمهت ج.كريستيفا لأكثر من عقد من الزمن وهى تدعو له وتحاول تكريسه من خلال دراساتها النظرية والتطبيقية. لكن بعدها انتقلت إلى الانشغال بأبحاث أخرى متنوعة، كما انشغلت بالكتابة فى الرواية البوليسية تاركة المجال مفتوحاً على مصراعيه لنقاد آخرين يواصلون رحلة البحث فى نظرية التفاعل النصي، ومفهوم التناس فى اتجاهات معرفية ومنهجية مختلفة.

خاتمة :

وبعد هذه الوقفة المتأنية مع الباحثة البلغارية جوليا كريستيفا فى الإنجازات النظرية والإجرائية التى حققتها على صعيد تحليل الخطاب الأدبي فى بعده العلائقي والتفاعلي، نصل إلى تدوين النتائج التالية:

- تبين الدراسة أن الباحثة نهلت من طروحات باختين، والتي كانت بمثابة المنبع الذي استقت منه أساسيات نظرية التناص وفتحت أمامها مسالك لابتكار مقترحات نظرية وتصورات إجرائية لم تخرج في عموم مبادئها عن المقترح الباكتيني.
- فضلا عن تأثر كريستيفا بالطرح الباكتيني الذي كان له النصيب الأوفر في التأسيس لمقولة التناص، فإن الدراسة بينت - أيضا - أن الباحثة كانت على درجة كبيرة من الانفتاح على ثقافات متنوعة وعلوم ومعارف مختلفة كالفلسفة وعلم الأنثروبولوجيا وعلم النفس واللسانيات؛ كل ذلك أهلها لتؤسس لنظرية مجهزة بترسانة من الاصطلاحات والمفاهيم الخاصة.
- استطاعت جوليا كريستيفا أن ترسخ أفكارها وتصوراتها في الساحة النقدية الغربية والعالمية لتؤسس لعلم جديد يعنى بالنص أطلق عليه (علم النص).
- إن الإنجاز العلمي الذي قدمته كريستيفا كان له بالغ الأثر في أطر معرفية متنوعة كاللسانيات، والسميولوجيا، وتحليل الخطاب بشكل عام.
- بفضل الجرأة الفكرية والأدبية اللتان تتمتع بهما الباحثة كريستيفا، فقد تمكنت من انتاج جهاز اصطلاحي دقيق آلم بالمقولة النقدية "التناص"، وكل ما يتعلق بمضمونها الذي يتحدد في انفتاح النصوص على بعضها بعض وإقامة حوار معها.
- يعود الفضل إلى الباحثة المتميزة جوليا كريستيفا في فتح باب الاجتهاد على مصراعيه في كل ما يتعلق بمضمون فكرة التناص؛ حيث تمكنت مجموعة كبيرة من المنظرين الغرب في مجال النقد الأدبي وتحليل الخطاب من سبك نظريات ومناهج واصطلاحات سارت بالنقد الغربي قدما إلى الأمام، وكان لها بالغ الأثر في الساحة النقدية العالمية، نذكر من هؤلاء من باب الذكر لا الحصر: رولان بارت، وتودوروف وجيرار جينيت.
- وتبقى فرضية المقولة النقدية التناص وكل المقولات التي انبثقت عنها استعير فحواها - بالأساس - من الموروث الفكري والنقدي للباحث الروسي ميخائيل باختين، الذي خطا بالنقد الغربي والعالمي خطوات جديدة نقلته نقلات نوعية في التعامل مع النص الأدبي من حيث افتاحه على نصوص وخطابات أخرى.

هوامش:

¹ محمد عزام، 2001، النص الغائب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص 27

² حسين خمري، 1987، إنتاج معرفة النص. دراسات عربية، ع12، ص 105

³ محمد عناني، 2003، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر - لوجان. مصر، ص 69

⁴ مارك أنجينو، 1998، التناصية، بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره، ضمن كتاب (آفاق التناصية)، ترجمة محمد خير

البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر، ص 66

⁵ تودوروف، 1990، الشعرية، تر/شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص 41

- ⁶ نهلة فيصل الأحمد، 2002، التفاعل النصي التناصية النظرية والمنهج، دار مؤسسة اليامة الصحفية، الرياض، ص 102
- ⁷ أحمد الساوي، 2002، التطريس في القصص إبراهيم درغوثي أنموذجا، مطبعة التفسير الفني، صفائح، تونس، ص 24
- ⁸ بسمة عروس، 2008، التفاعل في الأجناس الأدبية، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، تونس، ص 31/32
- ⁹ أحمد الساوي، التطريس في القصص، إبراهيم درغوثي أنموذجا، ص 24
- ¹⁰ حماد كاظم، 1993، أدونيس منتحلا، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص 44
- ¹¹ تودوروف، 1990، الشعرية، تر/شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص 41
- ¹² تودوروف، 1996، المبدأ الحواري، ترجمة فكري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 15
- ¹³ محمد فكري الجزار، 2001، لسانيات الاختلاف، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ص 296
- ¹⁴ ميخائيل باختين، 1987، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط 2، ص 11
- ¹⁵ عبد المجيد الحسيب، 2007، حوارية الفن الروائي، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللغة والآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، المغرب ص 22.
- ¹⁶ راجع نجاة عرب الشعبة، حوارية باختين، دراسة في المرجعيات والمفردات، مجلة التواصل في اللغات والآداب، عدد 31، سبتمبر 2012، جامعة باجي مختار — عنابة، الجزائر، ص 88، وما بعدها
- ¹⁷ ميخائيل باختين، 1988، الكلمة في الرواية، ترجمة، يوسف الحلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ص 12/11
- ¹⁸ صلاح فضل، 1996، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، القاهرة، ص 168
- ¹⁹ محمد عزام، 1996، النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ص 60
- ²⁰ J.Kristeva, 1970, le texte du roman, Mouton, paris, p138
- ²¹ Op.cit, p 12
- ²² أحمد ناهم، 2007، التناص في شعر الرواد، دار الآفاق العربية القاهرة، ص 27
- ²³ J. Kristeva, 1969, Recherche pour une sémanalyse: édition du seuil., Paris, p85
- ²⁴ Op.cit, p53
- ²⁵ مارك أنجينو، التناصية: بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره، ضمن كتاب (آفاق التناصية)، ص 66
- ²⁶ المرجع نفسه، ص 66
- ²⁷ J. Kristeva, Recherche pour une sémanalyse, p85
- ²⁸ زهور حزام. آلية التناص. مجلة/ الناقد، ع 39، 1990 ص 59
- ²⁹ J. Kristeva, Recherche pour une sémanalyse, p88
- ³⁰ عبد اللطيف الجعفري، 1998، التفاعل النصي من خلال روايتي أخطية لإميل حبيبي والريش لسليم بركات، (رسالة دكتوراه). جامعة محمد الخامس الرباط، ص 97
- ³¹ J.Kristeva, 1985 la Révolution du langage poétique, édition du seuil, paris, P59.
- ³² M.Bakhtine, 1970 , la poétique de Dostoïevski, Traduction de julia Kristeva. Seuil, paris, p60

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أحمد السباوي، 2002، التطريس في القصص، إبراهيم درغوثي أتمودجا : مطبعة التفسير الفني، صفائص، تونس.
 - 2 - أحمد ناهم، 2007، التناص في شعر الرواد: دار الآفاق العربية القاهرة.
 - 3 - بسمه عروس، 2008، التفاعل في الأجناس الأدبية: منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات. منوبة، تونس.
 - 4 - تودوروف، 1990، الشعرية، تر/شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة. : دار توبقال للنشر. الدار البيضاء، المغرب
 - 5 - تودوروف، 1996. المبدأ الحواري ترجمة، فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت
 - 6- حماد كاطم. أدونيس منتحلا. مكتبة مدبولي. القاهرة:
 - 7 - حسين خمري، 1987، إنتاج معرفة النص. دراسات عربية، ع12.
 - 8 - زهور لحزام، 1990، آلية التناص. الناقد ع39.
 - 9 - صلاح فضل، 1996، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، القاهرة.
 - 10 - عبد اللطيف الجعفري، 1998 ، التفاعل النصي من خلال روايتي أخطية لإميل حبيبي والريش لسليم بركات(رسالة دكتوراه). جامعة محمد الخامس الرباط، المغرب.
 - 11-عبد المجيد الحسيب، 2007، حوارية الفن الروائي، منشورات مجموعة الباحثين الشباب في اللغة والآداب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، المغرب
 - 12 - مارك أنجينو، 1998، التناصية، بحث في انبثاق حقل مفهومي وانتشاره، ضمن كتاب (آفاق التناصية)، ترجمة محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
 - 13 - محمد عزام، 1996، النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق
 - 14 - محمد عزام، 2001، النص الغائب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
 - 15 - محمد عناني، 2003، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر - لوجمان. مصر.
 - 16 - محمد فكري الجزار، 2001، لسانيات الاختلاف، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، مصر
 - 17- ميخائيل باخين، 1987 الخطاب الروائي، ترجمة محمد براءة، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط 2.
 - 18- ميخائيل باخين، 1988، الكلمة في الرواية، ترجمة، يوسف الحلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.
 - 19- نحلة عرب الشعبة، حوارية باخين، دراسة في المرجعيات والمفردات، مجلة التواصل في اللغات والآداب، عدد 31، سبتمبر 2012، جامعة باجي مختار— عنابة، الجزائر
 - 20- نهلة فيصل الأحمد، 2002، التفاعل النصي التناصية النظرية والمنهج، دار مؤسسة الإمامة الصحفية، الرياض.
- ### 2 - المراجع الأجنبية:

- 1 J. Kristeva, 1969, Recherche pour une sémanalyse: édition du seuil., Paris.
- 2 J.Kristeva,. 1970 le texte du roman. : Mouton, paris.
- 3 Kristeva, 1985, la Révolution du langage poétique. édition du seuil, paris.
- 4 M.Bakhtine, 1970, la poétique de Dostoïevski, Traduction de Julia Kristeva. Seuil, paris.